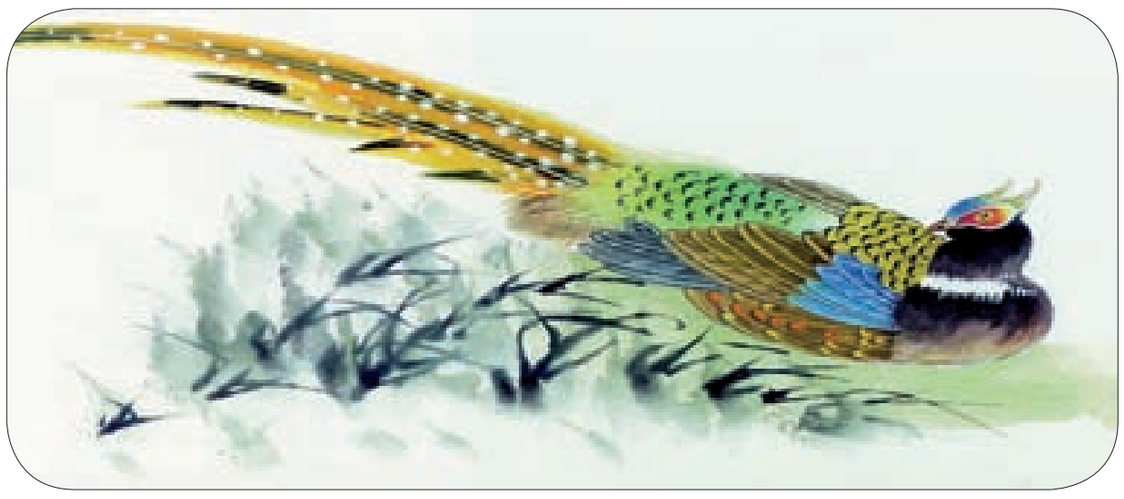

كلماتكم

صفحة أسبوعية تصدر صبيحة كلّ سبت، ننشر فيها ما يردنا من قرّائنا الأعزّاء، لا سيما الشباب واليافعين، من قصائد شعرية ونصوص نثرية، وقصص كثيرة وكل ما يصبّ في أدب المقالة. لتكون «البناء» منبراً لكلماتكم وإبداعاتكم التي ترسلونها إلى البريد الإلكتروني التالي: ahmadtay999@hotmail.com

يا لشهادات الوطن

أهلي بلادي يا ترى
يا وطني ماذا جرى
كنّا في المقدّمة
وإذ بنا تحت الثرى
النائب فينا قد افترى
والوزير قد طغى
نسأل عن حقوقنا
كأنها جريمة
بحقهم... وحقهم
يستجوبون ما جرى
وكلّنا في موسم الانتخابات
بضاعة نحن بها
كما تباع تشترى
وما لنا من قيمة
في سوقهم
وما لهم ضمائر ظاهرة
فينا ولا مستترة
ولحمنا بأيديهم قد تبعثر
جلودنا تمزّقت
عظامنا تكسّرت
أموالنا تبدّدت
بلادنا تشرذمت
ولم يعد لعيننا
غير الكرى
الله يا لوعه شعب جائع
يا لشهادات الوطن
ضاعت وضاع فينا
كلّ حلم جميل
وبات الحاضر رذيلاً
ها قد أتى دور الوطن
قد دخل الأسواق
من باب الدمن
ونيّة مبيّتة
مع السلاح والمنن
من عالم الحضارة
عند مواخير الزمن

صابرين بن سعيد ـ تونس

العاشق الغائب

في حالة الغياب سوف توضعُ
ومن دمي ستنزعُ
من رقعة الشطرنج سوف تشطبُ
ودونها أنت كذا: جنديّها المغيّبُ
إنّي بهذا أرغبُ
سرابك المسؤول
عن ذلك الأفول
والحرف سوف يصمت
والحبّ سوف يبهت...
مسافراً أعتبرك
وأنت لن تعود
سوف أسمّيك بما يليق:
بالعاشق الغائب والغريب
أنت الضمير الغائبُ
وفاعل، ضميره مستترٌ
تقديره هو
تقديره هو...
لغتك القديمة
زالت من الوجود
ولم تعد تعجبني
سأرسم الصمت على شفتيّ
وأبدل الأشياء بالأشياء
فأنت لا تفهم إلّا لغة السفر
فلنرسم الدرب على مفترق
وسوف أمشي حيث لا تمشي
ولن تجمعنا الطرق
ثانيةً يا أيها «الصديق»
لن أجهل بعد اليوم
فالجهل كسوف
والجهل خسوف
لن أبقى أنتظر الغيب
لن أستيقظ في اليوم التالي
كي تشرق لي
فلنرسم في الأرض شروقاً
وغروباً مختلفَيْن...
في الأفق حوار
حلقات تتبعها حلقات
وسأرجو الشمس لكي تمحو
ضوء الماضي
متوتّرة أصحو
وعلى مدخل أبواب مدينة عشقك
سأنام ولن أدخل فيها
وسأبدأ في فصلٍ
ليس محالاً
وحدود القصّة قضبان
خلف القضبان ستُحتَضَر
ولْتصبحْ هرماً
ما عاد يليق بك الآخر...
أيْ عصر شباب
هيّا صِرْ هرماً
صِر كهلاً

ليندا نصّار

بين رسالتين

مَغفورةٌ تلك الخطايا الحُمر
إلّا المشركين!
هكذا قال الكتاب
مغفورة تلك الخطايا الحمر
إلّا الظالمين!
هكذا قال المخلّص
ويا سراج النور لخّص
ما عناهُ إبنُ الترّاب
مصلوبةٌ آلامُنا
قامت بها آمالُنا
هكذا أسرى الغدى بالمؤمنين
رؤيا... ولا رؤيّة
لكن هدىً للمتّقين
فالحبّ قلبٌ وسواءٌ ونشوء
والحبّ قدس الوضوء
والحبّ كالوسطى لخمس!
فعلامَ أجهل ما أنا
إلامَ نسفك سلمَنا
وإلامَ ذا التكفير للتفكير
يا أضغاث... يا أرقام!
وإلامَ نجترّ الإلام؟
يا قدس؟

سحر أحمد علي الحارة

القدس

لم يرحل الشهداء
هاهم تركوا لنا الصحن
والثوب الذي لبسناه
ركضنا... خلف القدس حفاة
أرادوا أن نعبر نحو النار
تسبقنا ريح
وتتبعنا ريح
وترافقنا روح
أمّا بعد
سيرحل الغزاة
سنصلّي مع الأرواح
بلا مفاتيح
ولا كلمات
أيادينا مرفوعة... ستبقى مرفوعة
والقدس جناحها مفتوح
وهناك خلف القبّة
تجمّد القمر
والغيوم بيَدٍ شهيد جديد
وأصوات أتت من بعيد
ودماء داكنة تحجب الفضاء
كان هذا شهيد عتيق
وطفل لم يتجاوز الربيع
يدقّ فأسه وبرأسه
ربما نهتدي أخيراً إلى الطريق!
القدس هي الهوية
هي الدرب
هي الرهان
هي الشيخ والرهبان
هي قدس الأوطان
الآن وفي كل آن!

لمى نوّام

بطل الجنوب

يا بطل الجنوب
يا حامي درعا والحدود
أأهنّئك أنت
أم أهنّئ الوطن ببطل مثلك يا حكاية الصمود؟
أثلجت صدورنا بنصرك
وشفيت غليل وطني المجروح
قاتلتَ ببسالة... وناضلت بإخلاص
ذلّلت الصعاب وقهرت الأعداء
وبقيت راسخاً شامخاً مثل شجر الزيتون
حماك الله يا درعا
سوفَ يشهد له التاريخ ملحمة صبر وأسطورة عطاء بلا حدود
في الميدان حروب ومعارك
مواجهات وصراعات
ومصير مجهول
ولكن هيهات منّا الهزيمة في ميدان الجنوب
ففي الجنوب رجل من رجال الله عاهد فصدق
في الجنوب رجل مؤمن بقضية شرف وحق
مؤمن أن لا روح تنبض بالحياة ولا دماء تجري في العروق
حتى ترفرف في سماء وطننا الغالي رايات النصر المحتوم في الجنوب
وألف آه يا قلبي على مَن في الجنوب
ففي قلبي حكايات شوق لا تنتهي
في قلبي سمفونية عشق أبديّ تعزف ألماً وحزناً
وتصرخ لوعة وحسرة على جراحك يا وطني
وعلى غيابك عنّي أنت يا أبي
لقد أضناني الشوق يا أبي مثل بحر هائج في أعماقي
يلاطم روحي بموجه، فيبكيك القلب غربة
تبعثرت دموع مليئة بالآهات
ولم يبق من الشوق إلا الكلمات أرسلها إليك حيث أنت
ثوان... دقائق... ساعات... أيام... سنون من العمر غادرتني ولم أرَك يا أبي
هو الشوق يضنيني... فلا تعاتبني أرجوك يا وطني
فشوقي إلى أبي ما هو إلا قبلة صادقة عفيفة لترابك الطاهر
أسقيه من دموعي فتعبق رائحتك طيباً ممزوجاً بطيب رائحة أبي
فهنيئاً لك صمودك يا أبي
وهنيئاً لك صبرك
وألف تحية وسلام لنصرك

سناء أسعد

رصيف الانتظار

وأنا على قمّة الكون
أتناول الحبّ
كما ارتشاف الصباح
في فنجان حارّ
وأبصر وجهك
على صفحة السائل البنّي
يقترب من أنفاسي... فأحترق
وينسلّ الرداء الشفّاف
بعيداً عن حديقة كلامنا
وأنت... ممسك بالكلام والبرد
ودخان السجائر
تعبر رماده
إلى حيث الممنوع...
في زحمة عبورك أفتّش عن الأمس
أدور حول المقاهي
ورصيف الانتظار
أدور حول نفسي...
وأحبّك لحظة تسكنها
هناك بقاياي
وزجاجة عطر لرجل
سال على الأجزاء...

عبير حمدان

امتحان

هناك، على حافة الزمن، كانت تقبع فَرِحةً بحياة رسمها لها القدر. ببسمة تملأ وجهها، وقهقهة تصدح بها حنجرتها. ولطالما حسدها عليها من كانوا حولها.

هناك، على حافة الزمن، حيث كان همّها الأكبر إسعاد مَن حولها، جاءها تائهٌ، كلّمها عن الغد، وما بعد الغد. كلّمها كثيراً عن الموت وما بعد الموت، وكثيراً كثيراً عن الله وما قبل الله.

هناك، على حافة الزمن، غيّرها، حوّلها إلى لوحة كان قد رسمها في خياله. خطّ لها حدوداً وجدولَ لها قوانينَ تحت طائلة الحبّ، التزمت هي بها.

هناك، على حافة الزمن، وثقت به وتعلّمت منه وأحبّته بعدما لمست عشقه لها، فاقترب باسم الحبّ، وباسم الحبّ اقتربت هي.

وهناك، على حافة الزمَن، تركها، ابتعَد، هدّد، توعّد. وتحت سقف الخوف التحفت الصمت، وراحت تحاول لملمة ضحكات بعثرها ذلك التائه.

هناك، على حافة الزمن، شقية أحبّت، وشرقيّ باسم الله تقرّب. باسم الخطأ ابتعد، وحمى نفسه بجملة: «كان امتحاننا وها قد فَشلت». يعلم هو لو أنها رفضت طلبه لهنّأها وعاود امتحانه مرّات ومرّات.

نعم، فهناك، على حافة الزمن، عقول على حافة الهاوية.

زلفا أبو قيس

هكذا هجرَتْني نفسي

هكذا ابتعدتْ عنّي ذاتي التي حاربتُ بضراوةٍ لتحقيقها. وهُزِمتُ شرَّ هزيمةٍ في معركةٍ غير متعادلة: أنا، والجميع خصومي!

أحاول أن أعود بطيّات ذاكرتي إلى أيّ شيءٍ كان من اختياري. وجدتُني تابعةً لهم لا أكثر!

منذ إطلاقي صرخةَ إنذارٍ قدومي إلى عالمِ البؤس البشريّ، لم أكن أملك أدنى حرّية للاختيار، بما في ذلك اختيار ولادتي في هذا التاريخ. اختاروا هم اسمي وجنسيّتي، ووسموني بالديانة التّي يعتنقون، وربطوني باسم العائلة التي إليها ينتمون. نجحوا في سلب أبسط حقوقي في الاختيار؛ فكان ذلك مقدّمة لدرس الخنوع ونسيان كلمة... «لا».

رسموا لي الطريقَ التي يريدون فمات الحلم، واستقال الطموح، وصار الخيال طريقي الخاص الذي أسلكه لأهرب من سلطتهم إلى عالمي الوهميّ الذي حقّقت فيه ما كنت أصبو إليه في ذاتي الأصلية، التي أخفيتها من شوائب أيديهم!

عشت صراعاً بين نفسي التي أريد أن أكونها، ونفسي التي يريدونها. حتى وصلت إلى حلّ يرضي الجميع إلّاي: أصبحتُ في الواقع ما أرادوا أن أصبحَه، ودفنت ذاتي في مقبرة خيالي الذي أدمنتُه!

جعلت من نفسي كائناً ليليّاً يهوى العزلة والظلام وسرمديّة الكآبة، غير آبهٍ بتجاهلهم، ولامبالٍ بأحدٍ منهم. عاشقاً البردَ مسكنَ الآلام ومجمّدها!

وها أنا أمضي بحثاً عن ذلك الدفء مطبّب الجراح، ومعالج الكسور وملصق الخيبات. ذلك الدفء المختزل في شخص واحد به أحقّقُ ذاتي التي أضعتها منذ سنين، وأمارس للمرّة الأولى حقّي في الاختيار والقرار. وأجرّب وقْع تلك الكلمة التي لم أقوَ حتى على لفظها من قبل: «لا» لكلّ شيءٍ. و«لا» للظروف. و«لا» لتحقيق ما عجزوا عن إنجازه من خلالي. و«لا» لمحاولتهم إجباري على الابتعاد؛

فما عادت الطرقُ المستقيمة الآمنة تثيرُ فضولي!

لانا أبو جودة

الحياة أقوى من الموت

في المطار، في غرفة الانتظار لمحتُه، كنت أجلس في الزاوية اليسرى من الباب. حينما دخل، التفت يميناً ويساراً ومشى ليختار مقعده في الزاوية المقابلة لي. كان رجلاً ذا شعر أسود تسلل إليه بعض الشيب المبعثر فوق وجهٍ يخبرك أن معارك الحياة قد مرّت على حدائقِ حياتهِ ولم تدعه إلا وقد أتمت مهمتها. يرتدي بزّة كحليّة اللون، وقميصاً لونه سماويّ، يعطيه طابعاً راقياً. جلس، ووضع أمامه حاسوبه المحمول، وبدأ يضغط على أزراره غير عابئٍ بأحد. لم يلتفت إليّ أيّ منّا، نحن الصبايا الأربع اللواتي كنّا موزعات في غرفة الانتظار، مع أن بعض الرّجال حاولوا أن يوزّعوا ابتساماتهم علينا وبالتساوي، لعل إحدانا تلتقط الطعم وتبتسم لهم.

ضمن هذه الصورة، وجدتُني أفتح كتاباً كنت قد اشتريته البارحة مساءً بعدما سمعت عن الكاتب والقصّة. فأنا أهرب دائماً من نظرات الإعجاب التي تحمل ألف معنى أنا بغنى عنها. وصلتُ إلى الصفحة الخامسة عشر، حينما أحسستُ بظلٍ يحجب ضوء الشمس عنّي. رفعت وجهي لأراه أمامي. إنّه الرجل ذو البزّة الكحليّة، يقف أمامي مبتسماً. وفي لحظة أحسستهَا زمناً، أبحرتُ من دون تردّد في بحر عينيه، لتأخذني زرقتهما برهة من نفسي، وتقذفني في أعماق عينيه.

استعدت هدوئي بثوانٍ، وكلّي أمل ألّا يكون توتّري قد ارتسم على وجهي. ابتسمت في وجهه على رغم إرادتي، فأنا لم أكن من النساء اللواتي تبتسمن لأيّ عابر سبيل. لكنه كان رجلاً من الرجال الذين إن التقيتهم ستبتسم لهم من دون تردّد، ومن دون أن تعرف السبب. بادلني الابتسامة وهو يقول: أنا آسف لتطفّلي، لكنني رأيتك تقرأين هذا الكتاب، وقد سمعت أنه كتاب شيّق جداً.

ابتسمت حينما لمعت في خاطري جملة كنت أريد أن أقولها له على سبيل المزاح (تخيل أنه شيّق لدرجة أنساني وجودك أمامي وأنت الذي تشبه ممثّلي السينما). لكنني أغلقت خربشات عقلي وقلت بهدوء: شيّق جداً، فأنا بدأت بقراءته منذ ربع ساعة حتى أوقفتني أنت. فابتسم وقال: آسف لتطفّلي. أجبته بابتسامة.

ومن دون أن أشعر، دعوته إلى الجلوس على الكرسي قربي، فجلس وهو يقول: شكراً، اعذريني، فأنا لم أعتد أن أقاطع أحداً يقرأ، لكنني سمعت الكثير عن هذا الكتاب، ولما رأيتك تقرأينه، أحببت أن أحذّرك.

ابتسمت مدهوشةً وأنا أقول: تحذّرني!

«نعم أحذّرك»، قالها وابتسم، فهذا الكتاب كما عرفت يحمل قصة الكاتب الحقيقية وفيها الكثير من الحزن والمأساة.

قلت له: أعلم هذا، ولكنّني صمّمت على أن أقراها، فأنا أقرأ كتاباته للمرّة الأولى، «كريم حداد»، هذا اسمه، لم أراه من قبل في المكتبات، هل تعرف إذا صدرت له كتبٌ أخرى؟ فأجابني: نعم، له قصتان.

ابتسمت في وجهه وقلت: في الحقيقة، هذه المرّة الأولى التي أتعرّف إلى اسمه، ولكنّني سمعت له مقابلة إذاعية أمس، وقد شدّتني إلى قراءتها كمّية المشاعر التي سمعته ينطق بها حينما سألوه عن هذا الكتاب، وكيف تجاوز محنته بعدما سلبه القدر زوجته وابنته. كان رائعاً في سرده، خصوصاً أن الكتاب صدر بعد خمس سنوات على وفاتهما. لقد أحببت قوله إن الحياة ستستمرّ، وإن ذكرياته معهما لن تموت، وإن الحياة دائماً تنتصر على الموت. أحببت تعبيره كثيراً، فنادراً ما يتصالح الإنسان مع الحياة بعدما قست عليه بهذه الوحشية. وبعدما انتهت المقابلة، صمّمت أن أشتري الكتاب لأعرف قصّته تماماً، والمأساة التي عاشها وكيف استطاع أن يعود إلى الحياة مرة أخرى. فأنا أحبّ أن أقرأ السِّيَر الذاتية كثيراً، لأنها تعلمنا الكثير في مواجهة الحياة. انتبهت أنني تكلمت كثيراً، وأنه لم يقاطعني أبداً. فابتسمت ونظرت إليه وكأنني أسأله: هل أكمل؟

نظر إليّ وقال: اعذري صراحتي، لكنني استمتعت بكلّ كلمة نطقت بها، لديك طريقة في الحديث أهنّئك عليها. واضحٌ أنك تابعت مجريات المقابلة بشغف وحُسن إصغاء، يجعلانني أتساءل: ماذا لمس في داخلك؟

سأل سؤاله هذا، ونظر في عينيّ نظرة مباشرة وسكت... بين سكوته وارتباكي وجدتُني ـ وبغير إرادتي ـ منجذبة إلى عينيه اللتين كانتا تحاولان التغلغل في أعماقي، محاولاً ـ من دون أن يتكلم ـ أن يكتشف إذا كانت الحياة قد مارست وحشيتها عليّ أيضاً.

قطع السكوت بيننا صوت المذيع معلناً عن لزوم توجّهنا إلى الطائرة. اعتذر منّي مبتسماً وقال غامزاً: فكّري بسؤالي، فهروبك لن يجدي نفعاً معي. توجّه إلى مقعده ليلملم أشياءه. أمسكتُ كتابي وحقيبتي وأنا أتساءل: من هذا الرجل؟

في الطريق إلى الطائرة، وجدته يمشي أمامي: طويل القامة واثق الخطوة، لا يلتفت يميناً ولا يساراً. حمدت ربّي أنني خلفه، فهكذا لن أتوتر وأرتبك في مشيتي وأنا أجرّ حقيبتي الصغيرة وفي يدي أشيائي.

في الطائرة كنت أجلس أمامه بمقعدين، حيّيته بابتسامة وجلست لأراه بعد قليل أمامي وهو يقول ضاحكاً: المضيفة سمحت لي بالجلوس إلى جانبك، يبقى أن تقرّري أنتِ.

كان واثقاً أنني سأقبل. وكم كنت أريد أن أرفض عن قصد لأمحو هذه الضحكة الواثقة من وجهه. لكنني لم أستطع، فقد جذبني هذا الهدوء وهذه الثقة، إضافة إلى سحر عينيه الذي لا يقاوم. ابتسمت وأجبته: لا مانع طبعاً، على شرط أن تحكي لي القصّتين اللتين كتبهما هذا الكاتب. جلس ضاحكاً ونظر إليّ وقال: اتفقنا، هل تريدين أيضاً عنوانه ورقم هاتفه؟ ضحكت وقلت: أنت ظريف أيضاً، هذا كثير. نظر إليّ مدهوشاً وقال: كثير، علامَ؟

لم أستطع أن أجيبه، فكيف يعقل أن يكون رجلاً وسيماً، أنيقاً، مثقفاً، وليس مغروراً وظريفاً، وأيضاً ليس متزوّجاً (بحسب يده اليسرى). ولكن، يا لغبائي، فاليوم، لا يرتدي الرجال المتزوجون محابسهم، ولهذا تراجعت الفكرة في رأسي وسألته من دون تفكير: هل أنت متزوّج؟

قال وبهدوء حزين: كنت متزوّجاً. وابتسم قائلاً: هل تريدين الحديث عنّي أم عن الكاتب؟

أفحمني وأنا التي أحاول التصرّف معه بلا مبالاة، وكأنه يقول لي: انزعي هذا القناع، وكوني أنتِ.

ابتسمت وقلت مازحةً: سنتكلم عنك وعنه، فإحساسي يخبرني أن خلف هذا الهدوء قصّة أحبّ سماعها.

قال لي: وذكية أيضاً... هذا كثير. ضحكت مستفسرةً: كثير لماذا؟ فأجابني ضاحكاً: فتاة جميلة، جذّابة، مثقّفة، أنيقة، وفوق كلّ هذا إحساس عالٍ وذكاء، مختبئة خلف هذه اللامبالاة، أتساءل لماذا يا آنستي؟

أجبته مازحةً كي لا يصبح الحديث جدّياً: طبيب نفسانيّ حضرتك؟ ضحك وأخبرني عن نكتة الطبيب النفسانيّ التي يعرفها، ومضت الساعات الأربع ونحن بين ضحك وجدّ. تكلّمنا عن مقتطفات في حياتنا، أخبرته القليل عنّي وعن أحلامي، ارتحت له لدرجة أنني أخبرته عن خطيبي الذي توفّي نتيجة مرض عضال، وأنّني لهذا أحببت بشدّة أن أقرأ كتاب الكاتب، لما فيه من تشابه في فقداننا أحبتنا، وقد كان جدّاً رجلاً شهماً، قدّر حزني ومعاناتي، وحوّل الحديث لنتكلم عن الحياة والحبّ والإنسان. كان الحديث ممتعاً لدرجة لم ننتبه أنّ الوقت مضى. قاطعنا من بعيد صوت ربّان الطائرة يخبرنا بالوصول. صمتنا فجأةً، وكأن شيئاً قال لنا: انتهى الحلم.

أمام الباب الخارجيّ في المطار، وقف أمامي يودّعني، أخذ من يدي كتابي، أخرج قلماً من حقيبته، فتح الصفحة الأولى وقال وهو يكتب: هذا اسمي ورقم هاتفي وعنواني، عزيزتي الرائعة، إن كنت قد أحسست بما أحسستُ به تجاهك خلال هذه الساعات، فسأكون فرحاً جداً. حينما أسمع منك اليوم مَساءً، سأكونَ بانتظار هاتفك لنكمل ما بدأناه، ولنثبت أنّ الحياة فعلاً أقوى من الموت.

أعاد إليّ كتابي، وأنا لا أدري كيف أجيب. إحساس غامض انتابني وأنا أسمع كلماته. لم أدرِ بنفسي إلّا وأنا أصافحه مودّعة.

رأيته يركب سيارة كانت تنتظره، لوّح لي من بعيد، ابتسمت ملوّحةً، رأيته يبتعد ويغيب عن نظري في اللحظة نفسها التي كنت أفتح فيها غلاف الكتاب، وفي تلك اللحظة عرفت معنى كلماته، الحزن الذي على وجهه وأنا أقرأ ما كتبه: الكاتب كريم حداد. رقم هاتفي..... اعذريني لأنني لم أطلعك على اسمي من اللحظة الأولى، فقد كنت مستمتعاً بحوارنا بعيداً عن نظرة إشفاق قد ألمحها في عينيك الساحرتين. أنتظر هاتفك الليلة لتثبتي لي أنّك فعلاً مقتنعة أنّ الحياة أقوى من الموت.

فيليبا صرّاف